عوامل النمو الحضري

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم الجغرافية

الدراسات الاولية – المرحلة الثالثة – جغرافية المدن

أ.د. رياض عبدالله احمد

١- العوامل السكانية:

يتسم العصر الحديث بزيادة عدد سكان المدن بمختلف حجومها وزيادة عدد سكان الحضر وسرعة النمو الحضري. فقد شهد العالم في هذا العصر تحضراً سريعاً بسبب انتشار الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي وتحسن طرق ووسائل المواصلات. ويلاحظ ان نسبة النمو السكاني في المدن كانت اعلى من النمو السكاني بصورة عامة في العالم وقد كان الفرق واضحاً بين النمو السكاني في الدول المتقدمة والدول النامية جدول (١). إذ تمتاز الدول الاقل نمواً في العالم بنمو سكاني اعلى من بقية دول العالم[١٠]. وتشير دراسات الامم المتحدة الى انه بحلول عام ٢٠٠٥ سيكون هناك ٣.٣ بليون شخص يعيش في المناطق الحضرية.

أ- الزيادة الطبيعية للسكان :-

بعد التقدم العلمي الذي شهده العالم فإن معدل الوفيات قد انخفض بصورة تدريجية بعد عام ١٩٣٠ حتى وصل إلى ما يقرب (٢) بالالف تقريباً عام ١٩٦٠ [١١]. وبينما بقي معدل المواليد مرتفعاً بل زاد نتيجةً لتحسن الطب الوقائي مما نتج بالتالي ان ارتفعت نسبة الزيادة الطبيعية للسكان. ويختلف النمو السكاني من دولة إلى اخرى ومن مجتمع إلى آخر فبينما تسعى دول إلى تحديد نسلها نجد ان الاخرى تشجع على زيادة النسل. وقد يختلف النمو السكاني داخل الدولة الواحدة طبقاً لاتباع عقيدة معينة وتبعاً للمستوى الثقافي للاسرة. ورغم هذا فإنه لم يسبق لتاريخ البشرية ان احتوى على هكذا كثافة سكانية كما هي اليوم إذ هناك ما يقرب ٥.٨ بليون شخص[١٢] يعيش على الكرة الارضية ومن هذا فإن معدل المواليد مستمر بالزيادة وخاصةً في الدول النامية فالجدول (٢) يظهر ان نسبة الزيادة الطبيعية السنوية لبعض

الدول النامية تتراوح من ٣-٤% في حين نجد ان دولاً اخرى متقدمة تحاول ان تحافظ على ثبات عدد سكانها كما يظهر في

وبالرغم من ان عدداً كبيراً من الدول يتبع برامج خاصة لتنظيم الاسرة لغرض الموازنة بين الزيادة في عدد السكان والمستوى المعاشي لكن معدل المواليد بقي مرتفعاً وبشكل خاص في الاقطار التي يكون فيها اسهام المرأة في النشاط الاجتماعي والاقتصادي معدوماً، إذ ان هذه الاقطار تمتاز بأن ٤٠%[١٣] من سكانها تحت سن ١٥ سنة (أي العمر غير المنتج). أي ان هذه الزيادة في السكان لا تسير بنفس سرعة الاستثمارات مما يعرض هذه الدول إلى مشاكل اجتماعية واقتصادية بالاضافة إلى مشاكل التلوث وانتشار الامراض إضافة إلى ان هذه الزيادة في السكان تهدد الموارد الحيوية للبشرية في كل المجالات.

ب- الهجرة :

الهجرة تعني انتقال الافراد والجماعات من مكان إلى آخر نتيجة لعدة عوامل تؤثر في حياتهم وتدفعهم لتغيير محل إقامتهم. والهجرة نوعان[١٤] :-

١-الهجرة الخارجية : وهي عبر الحدود السياسية للدولة.

٢-الهجرة الداخلية : وهي هجرة داخل البلد الواحد. فقد ينتقل المهاجرون من الريف إلى اقرب مدينة صغيرة او متوسطة كما تتم هجرة سكان المدن الصغيرة او المتوسطة إلى المدن الكبيرة.وقد تحصل الهجرة من الريف إلى المدن الكبرى مباشرة دون المرور بالمدن الصغرى لان المدن الكبيرة تشد إليها اصحاب الكفاءات والخبرة وهي تمثل مراكز الاشعاع الثقافي والاقتصادي والحضاري مما يجعل هذه المدن مدناً ضخمة.

ان الهجرة من الريف إلى المراكز الحضرية تعد اشهر انواع الهجرات[١٥] الداخلية التي كان لها دور كبير في نمو بعض المدن ونجد ان هذه الظاهرة تزداد داخل المجتمعات كلما كانت المدينة كبيرة ويتسع فيها نطاق الصناعة الجديدة.

ولعل من اهم اسباب الهجرة من الريف إلى المدن[١٦] :-

أ- العوامل الطاردة.

١- قلة الموارد الطبيعية.

٢- انخفاض الاجور في الزراعة.

٣- دخول المكننة الحديثة في الزراعة قلل من الحاجة إلى الايدي العاملة.

٤- الزيادة الطبيعية لسكان الريف (وهي عالية بسبب العادات والتقاليد)، فإن حصة الفرد تتناقص من الاراضي الزراعية وهذا يقلل الدخل الفردي في الريف.

٥- الهرب من الثارات القبلية.

٦- تردي الخدمات الاساسية او عدم توفرها اصلاً في الريف.

ب-عوامل الجذب في المراكز الحضرية.

١- وجود المؤسسات الصناعة التي توفر فرص العمل والاستخدام.

٢- وجود فرص لكسب الدخل العالي في المراكز الحضرية.

٣- وجود الخدمات الاساسية في المدينة كالتعليم والمستوصفات وغيرها من التسهيلات الاجتماعية.

٤- تعد المدن مراكز الادارة والنشاطات العلمية والحركات السياسية.

٥- يرجح جيرالد بريز Gerald Breese بأن قوة جذب المدينة للريفيين في الاغراءات التي تروج لمزاياها وعن الحياة فيها، فالطرق معبدة ووسائل الاتصال حديثة وغيرها[١٧].

٦- وجود التنظيمات الاجتماعية Social organizations في المدن والتي تعطي الفرصة لجميع الافراد لتحقيق مصالح شخصية وطبقية وطائفية ومهنية ومجتمعية[١٨]. ان للهجرة اثاراً سلبية واخرى إيجابية في كل من المنطقة المهاجر منها والمهاجر إليها ، وهذه الاثار اقتصادية واجتماعية كثيرة ومتشعبة ولا يمكن الخوض فيها هنا، ونكتفي بالتطرق إلى الآثار المهمة التي تصيب المدينة واهمها زيادة عدد السكان في المدينة بسبب توافد اعداد كبيرة من المهاجرين من الريف ويحصل ما يسمى بالتحضر Urbanization ويقدر عدد الاشخاص الذين نزحوا إلى مدن آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية خلال المدة الواقعة بين عامي ١٩٦٠-١٩٧٠ بمئة مليون شخص[١٩]. وقد تعرضت مدينة بغداد إلى

هجرة واسعة فقد كان المعدل السنوي للهجرة من الريف إلى المدن بين عامي ١٩٤٧ و١٩٥٧ هو ٣٣٠٠٠ شخص ثم ازداد للمدة ١٩٥٧-١٩٦٥ ليصل إلى ٤١٠٠٠ شخص[٢٠].

ان المعدلات العالية للهجرة من الريف إلى المدينة تعد مشكلة تعانيها الكثير من مدن العالم الثالث وتخلق مشاكل كثيرة ابرزها مشكلة السكن. إذ ان الكثير من المهاجرين هم من ذوي الدخول الواطئة ويميلون للسكن في اطراف المدن بصرائف او اكواخ طينية مكونين ما يعرف في اقطار أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا بالسكن الهامشي او السكن عند اطراف المدن (Periphery)[٢١] . وهذه المناطق تتميز بالافتقار إلى الخدمات الاساسية العامة وتردي حالات السكن عن مستوى الوحدة السكنية.وقد يذهب قسم من المهاجرين للسكن في الدور القديمة في المدينة والتي تنخفض فيها المعايير الصحية لقدمها وعدم صيانتها فضلاً عن ازدحامها ووقوعها في مركز المدينة ذي الكثافة العالية. إضافةً إلى مشكلة السكن التي يخلقها المهاجرون هناك الكثير من المشاكل الاخرى منها الضغط على الخدمات الاساسية للمدينة وانتشار البطالة وانتشار التيارات الشاذة والانحرافات الخطيرة في المدن وانتشار ظواهر العنف الاجتماعي[٢٢].

١-٢-٢- العوامل التاريخية :-

يرجع تاريخ المدينة إلى بضعة آلاف من السنين، وقد اسهمت الثورات إلى حدوث تغيير أساس في حياة الانسان وكانت قد بدأت الثورة الاولى باكتشاف الزراعة وبدأت الثورة الثانية باكتشاف التجارة والصناعة اليسيرة (الحرف). وقد ظهرت المدينة في المراحل الاولى كامتداد لمجتمع القرية وان مركزها التجاري وطبيعة نشاطها الاقتصادي جعلها في الغالب تقع في مركز متوسط بين المناطق التي نشأت فيها وعلى مقربة من المجتمعات التي كانت تقوم على خدمتها في مكان يسهل الوصول إليه وعلى مفترق طرق الموصلات مما اتاح لسكانها فرصة الاتصال مع الغير والتعامل معهم. ومن جانب آخر تفسر جين جاكوب Jane Jacobe[٢٣] في عام ١٩٧٢ نشوء المدن وتبين ان حياة التحضر قد سبقت التطور الريفي، فهي ترى ان المدن انبثقت من مراكز تجارية حيث يتقابل الصيادون الرحل مع الساكنين في المنطقة ليستبدلوا المواد الاولية والمعادن بالطعام وجلود الحيوانات، ويتم هذا النوع من المتاجرة في

الاماكن الغنية بالعناصر الطبيعية والمعادن النفيسة او مصادر اخرى من الثروة الطبيعية التي كان يقيم لها الصيادون وزناً، وبعد مدة من الزمن انجذب التجار نحو المراكز التجارية وانقلب بعض المنتجين المحليين إلى مساهمين في عملية البيع والشراء واندمجت هذه المجموعات فخلقت مجموعة التجار وكانت زيادة نشاطات المدينة الاقتصادية والاجتماعية وتنوعها احد الاسباب الرئيسة في تطوير انظمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وذلك من اجل مساعدتها على القيام بدورها في خدمة المجتمعات الانسانية وهكذا اخذت تظهر بجانب المدن التجارية المدن السياسية والدينية والصناعية وغيرها[٢٤]. كما ان تاريخ ظاهرة النمو الحضري للمدينة يشكل جزءاً لا يتجزأ من كيانها الحاضر ومؤشراً لما ستكون عليه في المستقبل كما ان تفهم هذا التاريخ يكون بعداً معرفياً له قيمته واسهامه البارز في التفسير والتحليل والتنبؤ والتخطيط.

٢- العوامل الطبيعية :-

تتمثل هذه العوامل بصفات الموضع التي تنعكس باكثر من صيغة على مورفولوجية المدينة سواء قيس ذلك بموقع مركزها وتوزيع استعمالات الارض فيها وبتاريخ تطور هذه الاستعمالات او بانماط شوارعها . ويتباين اثر هذا العامل حسب موقع المدينة هل هو نهري او جبلي او ساحلي او غير ذلك. فمثلاً لا يمكن للمدينة ان تتوسع في حالة وجود خطر الفيضان كما حصل للكثير من المدن النهرية[٢٥].

ان العلاقة بين الانسان والبيئة الطبيعية علاقة متباينة بتعاظم دور البيئة مرة ودور الانسان مرةً اخرى، فهناك بيئة سهلة تستجيب لاقل جهد يبذله الانسان ولا توجد امامه معوقات او مشكلات[٢٦]. وهناك بيئات صعبة تفقد الانسان قدرته على صنع الحياة فيها والاستقرار والهدوء. وقد ارتبط استقرار الانسان ونشأة المدن على مر الزمن بالعوامل الطبيعية كالمياه والتضاريس والتربة والمناخ والتركيب الجيولوجي. إذ تعد هذه العوامل بالغة الاهمية في حياة السكان، فقد نجد الكثير من المدن نشأت وتطورت واتسعت بسبب وقوعها على الانهار كما هو الحال لمدينتي بغداد والقاهرة، إذ ان عدم توفر المياه يعد عائقاً طبيعياً امام نشوء وتوسع المدن، وان تزويد المدينة بالمياه من الامور الاساسية في حياتها كما ان كمية المياه التي تحتاجها مجموعة من السكان تزداد اسرع مما يزداد عدد السكان وتزداد الحاجة إلى المياه كلما ازداد اتساع المدينة[٢٧]. اما بالنسبة للتضاريس فإنها في بعض الاحيان تعمل على سرعة نمو

وتوسع المدينة وفي احيان اخرى تعوق توسعها. وكما هو معروف فإن الانسان عاش ويعيش في البيئة الجبلية الوعرة والهضاب كما في السهول وهو في كل بيئة من البيئات المذكورة يمكن ان يمارس نشاطه دون ان تحول هذه البيئات إلى الحد من نشاطه إلا اننا نجد بشكل عام ان الانسان يفضل العيش في المناطق السهلية لسهولة تمهيدها وتجهيزها للانتاج او لسهولة الاقامة فيها[٢٨]، ولا يمكن ان تكون هناك صعوبات في استيطان أية منطقة من المناطق وذلك لقدرة الانسان بشكل عام على التغلب على العوامل الطبيعية (في اغلب الاحيان) بسبب تقدم العلم وإمكانية احداث التغيرات في خصائص العوامل الطبيعية فنرى الانسان قد استخدم المدرجات في الجبال وبنى الانفاق لتربط السلاسل الجبلية وانشأ القنوات والسدود واستغلها لتوليد الطاقة واستطاع ان يبني الجسور المعلقة في المناطق الوعرة.

اما عامل المناخ فيعد عاملاً طبيعياً مؤثراً بشكل مباشر في الانسان وفي نشاطه واسلوب حياته وعلى قدرته العقلية في استغلال المواد المتاحة في البيئة. ان اسس تكوين الهيكل العام للمناطق السكنية وتنظيمها لكي تكون صالحة للسكن متعلقة بالظروف المناخية[٣٠]. فطراز المساكن في المناطق الحارة لا يتشابه مع طراز ابنية المناطق الباردة، إذ يؤدي المناخ دوراً فعالاً في كثافة السكان وتجمعاتهم وفي اتساع الطرق وكثافة البناء وارتفاع المباني واختلاف نوع المادة التي تكسى بها المنازل، وتوزيع المناطق الخضر ويترك المناخ اثراً واضحاً في طبيعة استثمارات الارض الحضرية وفي مورفولوجية المدينة. وبمعرفة اتجاهات الرياح السائدة يمكن تحديد مناطق السكن والصناعة واتجاهات الطرق وكذلك حجم الوحدات السكنية ومواقع منافذها وغيرها من العوامل التي تخفف من قسوة المناخ.

٣- العوامل الاقتصادية :-

من المعروف ان التحضر والنمو الحضري قد ارتبط بالتطور الاقتصادي والتطورات التكنولوجية التي ادت إلى دخول البشرية إلى مرحلة اكثر تقدماً على طريق التحضر. إذ ادى التطور في النشاطات التجارية والصناعية إلى ظهور المدن الكبرى نتيجة لاستخدام العلم في مجال الصناعة وانتشار الطاقة الكهربائية وغيرها من مظاهر الثورة التكنولوجية والتي افسحت المجال إلى تجمعات حضرية كبرى لم تعرف من قبل وغدت المدينة الميتروبوليتانية هي الوحدة الادارية والاجتماعية والاقتصادية. لقد درس ويلكنسون[٣١] العلاقة بين التركز الميتروبوليتاني* والتحضر والتصنيع ((كمؤشر للنمو الاقتصادي)) في

(٤٩) دولة شملت دولاً متقدمة واخرى متخلفة في عام ١٩٥٠ وخلص إلى القول ((ان الارتباط بين درجة التركز الميتروبوليتاني والنمو الاقتصادي يزداد قوةً

كلما ازدادت درجة التحضر)) أي ان النمو الاقتصادي يرفع معه كلاً من درجة التحضر والتركز الميتروبوليتاني. ويعد النشاط الاقتصادي الذي يتركز في بعض المدن من العوامل الجاذبة والمؤثرة في المناطق المحيطة بالمدينة إلى النمو مما يؤدي إلى تنمية نشاطات اقتصادية اخرى والتي لها دور في توفير فرص عمل ورفع المستوى المعيشي للسكان. ومن هنا نجد ان الانشطة الاقتصادية تسهم في نمو المدينة ويترتب على هذا النمو توسع في الهياكل الخدمية لتحقيق تكافؤ مع الانشطة الاقتصادية مما يؤدي إلى تطوير المدينة وزيادة نموها بسبب خاصية الجذب الذي تولده الانشطة الاقتصادية .وهناك نوعان من الانشطة الاقتصادية اساسية وغير اساسية، إذ ان كل فرصة عمل للانشطة الاساسية توفر فرصتين للعمل بالنسبة للأنشطة غير الاساسية [٣٢]. ومن هنا نجد ان المدينة فيها شبكة من العلاقات المتداخلة بين سكانها والانشطة الاقتصادية التي تتنوع وتتركز فيها[٣٣]. وتعتمد المدينة على العوامل الاقتصادية في نموها وتعزيز استقرار سكانها وديمومتها وهذا يعتمد على حجم الامكانات المتاحة المرتبطة بخصوصية المدينة والمستوى الثقافي والاقتصادي للسكان.

٤- عامل النقل والمواصلات :-

يؤدي عامل النقل والمواصلات دوراً مهماً في نشأة ونمو المدينة إذ ساعدت طرق النقل والمواصلات في الربط بين مراكز الاستيطان المختلفة. وقد ساعد التقدم التقني في زيادة كفاءة وسائل النقل مما اثر إلى حد كبير في نمو المدن وتطورها واتاح فرصة اكبر لاتساعها باتجاه طرق المواصلات، إذ وفرت وسائط النقل للإنسان مرونة في الحركة والتنقل وقد اسهم النقل لمسافات طويلة بدفع التوسع الحضري خطوات ابعد وعلى طول خطوط النقل وعند التقائها مما خلق مراكز استيطان كبرى اذ ظهرت الضواحي السكنية على اطراف المدن مما ادى إلى زيادة مساحتها وتضخم احجامها